

اجتهادات مخلفات العقلية الاستعمارية

ما زال بعض الأوروبيين يعيشون بعقولهم فى عصر الشركة الإفريقية الملكية، التى كانت أكبر شركات تجارة العبيد فى القرن السابع عشر. راجت هذه التجارة، ولقيت قبولا حتى من بعض أنصار الحرية، فى تلك المرحلة المبكرة التى لم يكن مبدأ المساواة بين الأعراق قد استقر بعد فى الغرب. كانت ممارسات الإنجليز الذين استوطنوا ما أطلق عليه العالم الجديد، والأوروبيين الذين تبعوهم، تجاه السكان الأصليين بداية الاتجاه إلى استعباد من رأى جون لوك أنهم يرفضون أى مساعدة تعينهم على تعبيد الأرض التى تركوها دون استغلال وتطوير، لكونهم كسالى وغير قادرين على إقامة مجتمعات منتجة وتمدنية. كما لم يلتفت الكسيس دى توكفيل، فى كتابه المشهور الديمقراطية فى أمريكا الصادر عام 1815، إلى ما حدث للسكان الأصليين فى الدولة التى شرح نظامها السياسى والاجتماعى، وأبدى إعجابه به. وفتح الاعتقاد فى سلامة قهر الهنود الحمر الباب أمام استحسان جلب عبيد من إفريقيا. ولكن هذه الممارسات تراجعت مع تنامي حركات النضال ضد الاستعمار، وانتهت مع انتصار هذه الحركات. فكان الاحتفال بتصفية الاستعمار فى ستينيات القرن الماضى، بعد قرن القضاء على العبودية عبر حرب أهلية فى الولايات المتحدة، إيذانا بنهاية عصر استعباد الأفارقة، الذين بقوا موضع استغلال اقتصادى سواء فى بلدانهم أو فى أوروبا وأمريكا، ولكن بوصفهم أحرارا من الناحية القانونية. ومع ذلك، ظلت هناك مخلفات للعقلية الاستعمارية. وآخر تجليات هذه المخلفات دعوة طبيبين فرنسيين كبيرين إلى اختبار

لقاح ضد فيروس كورونا فى أفريقيا. طرح أحدهما د. جان بول ميرا
الفكرة بطريقة مستفزة تنطوى على تحقير للقارة السمراء، وقال إن
إجراء هذا الاختبار فيها يشبه إلى حد ما تجارب حول الإيدز أجريت على
بائعات هوى، وأيده زميله كاميل لوتست، وأضاف أنه يفكر فى إجراء
تجربة أخرى على لقاح يُستخدم للوقاية من مرض السل. ولكنهما اضطررا
إلى الاعتذار بعد أن اشتدت حملات إدانتهم فى مختلف الأوساط. ويؤكد
هذا الاعتذار أن عصر الاستعباد انتهى، برغم أن مخلفاته فى عقول
البعض مازالت مستمرة.